مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

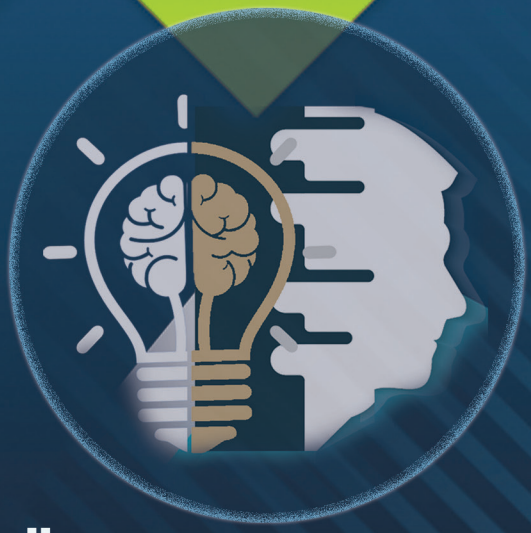

السنة الثامنة، العدد 28
المجلد الثاني، ديسمبر 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " آرسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دوليًّا، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصـــدر المجلة ورقيًّا حســـب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشـــر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونيًّا لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط النشر في مجلة العلوم الإنسانية وإجراءاته

أولاً: شروط النشر

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

رابعا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل كما هو في دليل المؤلفين لكتابة البحوث المقدمة للنشر في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل وفق نظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك
7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000) ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكّمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وقبول المحكم الآخر له وكانت درجته أقل من 70%؛ فإنّه يحق للمجلة الاعتذار عن قبول البحث ونشره دون الحاجة إلى تحويله إلى محكم مرجح، وتكون الرسوم غير مستردة.

13. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث
14. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم. وكذلك لها الحق في رفض البحث دون إبداء الأسباب.
15. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.
16. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.
17. لا ترّد البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر
18. يحق للمجلة أن ترسل للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.
19. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّياً.

المشرف العـــام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد بن إبراهيم السيف

هـيئـــة الـتحريـــر

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش

أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري

أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري

أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني

أستاذ الإدارة التربوية

د. ياسر بن عايد السميري

أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي

أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د. نوف بنت عبدالله السويداء

استاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري

أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان

سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

أسلوبية الحجاج في نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم: دراسة تداولية

The stylistic of argumentation in the Vocative Expression (Ya Abati) in the Holy Quran pragmatic study

د. منور بن نايف الفديد الشمري
أستاذ البلاغة والنقد المساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية.
https://orcid.org/0009-00011101-8674

Dr. Menwer bin Nayef AL-fdayd AL-shammari
Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia.

(تاريخ الاستلام: 2025/08/15، تاريخ القبول: 2025/09/28، تاريخ النشر: 2025/10/05)

المستخلص

النداء بـ(يا أبَتِ) في القرآن الكريم نموذجٌ عالٍ من نماذج الخطاب الحجاجي التداولي، ومن ثمَّ جاءت فكرة هذا البحث: (أسلوبية الحجاج في نداء «يا أبَتِ» في القرآن الكريم: دراسة تداولية)؛ لرصد السمات والظواهر الإقناعية والتأثيرية في نداء الأبناء لآبائهم، لما لها من دورٍ بارز في تشكل الخطاب وتحقيق قصديته، وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي القائم على تتبع الظواهر الحجاجية في خطاب الأبناء للآباء، وتحليلها، ورصد أثرها الأسلوبي لدى المتلقي، وقد خرج البحث بجملة من النتائج أبرزها: أن أسلوب «يا أبَتِ» في القرآن الكريم اتكأ على أدوات الربط: (إنَّ، قد، الواو)؛ لتوثيق خيوط النسج، وتماسك الفكرة، وتركيز قصدية الخطاب، وأن هذا الأسلوب – باعتباره فعلًا إنجازيًا – تعلق بعدد من الأفعال الكلامية؛ لتحقيق غاية النداء في آيات الدراسة، ومؤازرة تحقيق قصدية الخطاب، وأن السلم الحجاجي لم يرد في سياق نداء (يا أبَتِ) إلا في مقام الخلاف العقدي بين الابن وأبيه كما في سياق نداءات إبراهيم عليه السلام لأبيه.

الكلمات المفتاحية: أسلوبية، الحجاج، النداء، يا أبَتِ، التداولية.

Abstract

The Qur'anic vocative expression "Yā Abatī" ("O my father") constitutes a distinguished model of dialogic and persuasive discourse, blending rhetorical finesse with pragmatic intent. This study, entitled "The Stylistics of Argumentation in the Vocative 'Yā Abatī' in the Qur'an: A Pragmatic Study", examines the persuasive, affective, and cohesive dimensions of this address, underscoring its central role in shaping discourse and achieving communicative purpose.Adopting a descriptive–analytical methodology, the research identifies and analyzes occurrences of argumentative strategies within the speech of sons addressing their fathers in the Qur'anic text. Special attention is given to structural features, pragmatic functions, and their stylistic impact on the receiver.The findings reveal that the style of "Yā Abatī" strategically utilizes cohesive devices—such as inna, qad, and the conjunction wa —to reinforce textual cohesion, sustain thematic focus, and enhance the intentionality of the address. As a performative act, this vocative is intricately linked to a range of speech acts that collectively serve its persuasive objectives. Significantly, the study demonstrates that the argumentative hierarchy embedded in the "Yā Abatī" construct emerges exclusively in contexts of theological disagreement between son and father, most notably in the discourses of Prophet Ibrāhīm (peace be upon him) with his father.

Keywords: Stylistics, argumentation, vocative, Yā Abatī, pragmatics.

للاستشهاد: الشمري، منور بن نايف الفديد. (2025). أسلوبية الحجاج في نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم: دراسة تداولية. مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل، 02 (28)، ص97 – ص109.

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث

Funding: There is no funding for this research

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأتم تسليم.

وبعد، فإن للنداء أهمية بالغة في قصدية التأثير بالمنادَى لهدفٍ إقناعي أو تأثيري؛ ولإنجاز فعل ما؛ ذلك أنه يتجاوز مجرد طلب حضور المنادَى وإصغائه إلى تحقيق الغاية من نداء المنادِي، من هنا يأخذ أسلوب النداء بُعدًا تداوليًّا إنسانيًّا يهدف إلى إنجاز فعل نادى من أجله المرسل؛ لإقناع المتلقي أو التأثير فيه.

ويعد أسلوب النداء خطابًا حجاجيًّا بين منادٍ ومنادَى ورسالة ونتيجة، وهذه مقومات لحجاجية النداء؛ فجاءت هذه الدراسة بعنوان: (أسلوبية الحجاج في نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم، دراسة تداولية)، وتهدف إلى دراسة أبرز الظواهر الأسلوبية الحجاجية في خطاب الأبناء لآبائهم.

ولا شك أن الدرس الحجاجي بتركيبته الأسلوبية وتقنياته الخطابية موطنٌ خصب لإعادة النظر في تحليل النص وفق زاوية حديثة والانفتاح على عوالم أخرى في النص وفق تتبع دور الظواهر الأسلوبية الحجاجية في قصدية الخطاب، وما تحققه من نتائج تأثيرية في المتلقي لا سيما في القرآن الكريم؛ وهذا ما أكسب الموضوع أهمية في تتبع الظواهر الحجاجية في خطاب النداء بـ(يا أبَتِ) في القرآن الكريم ومحاولة سبر مقومات القوة الإنجازية وفق مقتضى سياقه الخطابي.

مشكلة البحث

يحاول البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما أبرز الظواهر الحجاجية في سياق أسلوب نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم؟ وكيف تشكل أسلوب الخطاب لتحقيق قصدية النداء في آيات الدراسة؟ وما الدور الحجاجي الإقناعي والبلاغي الجمالي لهذه الظواهر في إكساب الخطاب قوة إقناعية وتأثيرية في المتلقي؟ وما مدى تضافر السياق معها؛ لسبر أغوار الإعجاز البياني في القرآن الكريم؟

حدود البحث

إنَّ حدود البحث تتمثل في دراسة آيات نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم، وعددها ثماني آيات، موضعان لنداء يوسف لأبيه عليهما السلام في سورة يوسف، وأربعة مواضع لنداء إبراهيم عليه السلام لأبيه في سورة مريم، وموضع واحد لنداء ابنة الرجل الصالح لأبيها في سورة القصص، وموضع واحد لنداء إسماعيل لأبيه عليهما السلام في سورة الصافات.

الدراسات السابقة

عند البحث عن الدراسات السابقة لم أعثر على دراسة تُعنى بأسلوبية الحجاج في نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم، وما وجدته هي دراسات شرعية ونحوية لم تدرس أسلوبية الحجاج في هذه الآيات، وأقربها إلى دراستي بحث منشور بعنوان: (نداء «يا أبت» في القرآن الكريم: دراسة تحليلية)، للباحث: حاتم مزروعة، من قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك فيصل بالأحساء، ومنشور في مجلة النجاح للأبحاث عام 2024م، وقد اتفق هذا البحث مع دراستي في المدونة مجال الدراسة وهي آيات النداء بـ(يا أبت) فحسب، وهذا البحث وإن كان يوحي عند الاطلاع على عنوانه القرب من دراستي، غير أنه اختلف عنها في المنهج والمنطلقات البحثية والتناول؛ ذلك أنه اتبع المنهج التحليلي الاستقرائي الإحصائي، فجعل الباحث كل آية في مبحث مستقل وتناولها من حيث المعنى الإجمالي لكل آية، كما اختلف عنها من حيث الدراسة والتحليل القائم على الجانب التدبري التربوي، بينما دراستي ترتكز على دراسة أسلوبية الحجاج التداولية القائمة على دراسة أبرز الظواهر التأثيرية الإقناعية في أسلوب الخطاب الحجاجي، والنظر لأسلوب النداء في الآيات من زاوية تداولية، وتقسيم الدراسة وفق الظواهر التي برز فيها الجانب الحجاجي في النص ودراستها وفق سياقاتها الإقناعية والتأثيرية. وهذا لم يتحقق في الدراسة السابقة، ولم تتطرق لدراسة أسلوبية الحجاج في نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم دراسة تداولية.

كما أن هناك عددًا من الدراسات السابقة حول أسلوب النداء في القرآن الكريم، ولعل أبرزها بحث: (أسلوب النداء في القرآن الكريم)، للباحث: حسن كريم الشرع، ومنشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية عام 2007م، وهو بحث لغوي تناول آراء النحاة في عامل المنادى، ولم يتطرق فيه لدراسة أسلوبية الحجاج في نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم دراسة تداولية، وبحث: (أساليب النداء في القرآن الكريم دراسة نحوية)، للباحثة: نورمة بنت حسين، وهو بحث محكَّم في المؤتمر الدولي الثالث للدراسات الإسلامية في ماليزيا، عام 2017م، تناولت فيه الباحثة أساليب النداء في القرآن الكريم وبيان إعرابها، دون التطرق لدراسة أسلوبية الحجاج في نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم دراسة تداولية.

خطة البحث:

وقد جاءت خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

التمهيد: ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم الحجاج.

المطلب الثاني: مواضع نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم وسياقاتها.

المبحث الأول: الأفعال الكلامية.

المبحث الثاني: الروابط الحجاجية.

المبحث الثالث: السلالم الحجاجية.

المبحث الرابع: التذييل.

ثم الخاتمة.

منهج البحث

انتهج هذه البحث المنهج الوصفي التحليلي في تتبع وتحليل الظواهر الحجاجية في خطاب الأبناء للآباء باعتبار الحجاج ظاهرة تداولية؛ فانطلقت من تتبع أبرز الظواهر والتقنيات الحجاجية التي لها دور في الخطاب حجاجيًا ورصد أثرها الأسلوبي لدى المتلقي، ثم تقسيم الدراسة وفق معطياتها التداولية.

وقد تطرق البحث في التمهيد إلى مفهوم المصطلح في أصل اللغة ثم محاولة تبيين مفهومه في القديم والحديث، إضافة إلى ذكر مواضع آيات النداء بـ(يا أبَتِ) وسياقاتها في القرآن الكريم، ثم تقسيم البحث وفق أبرز الظواهر الحجاجية التي لها دور في سياق النص الخطابي في الآيات، فابتدأت في المبحث الأول الحديث عن الأفعال الكلامية؛ لتضمنها (أسلوب النداء) باعتباره الأساس الذي قام عليه البحث حيث ربطتُ الفعل الكلامي في سياقه ضمن أسلوب النداء، ثم في المبحث الثاني كان الحديث عن الروابط الحجاجية فاقتصر البحث على دراسة الربط بـ(إنَّ، وقَدْ، والواو) باعتبارها أبرز الروابط في سياق الآيات مجال الدراسة، وأما المبحث الثالث كان الحديث فيه عن السلالم الحجاجية. أما المبحث الرابع فجاء للحديث عن أسلوب التذييل ودوره الحجاجي في سياق الآيات، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج. واللهَ أسأل، العونَ والسداد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

المطلب الأول: مفهوم الحجاج.

يقول ابن فارس: «يُقال حاججت فلانًا فحَجَجْتُه، أي: غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجَجٌ، والمصدر الحِجَاج». (ابن فارس، 1399، ج2، ص. 30)، وفي لسان العرب: الحجة: الدليل والبرهان، وقيل: الحُجَّة ما دُوفع به الخصم، وجمع الحجة: حُجَجٌ وحِجاجٌ، وهو رجل محجاجٌ أي: جَدِلٌ، وسُميت الحُجة؛ لأنها تَحُجُّ، أي: تقتصد لها وإليها، وكذلك محجة الطريق، هي المقصد والمسلك. (ابن منظور، 1414، ج2، ص. 228)، والحجة: «ما دل به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد». (الجرجاني، 1403، ص. 82) .

فالمفهوم اللغوي للحجاج يشير إلى خصومة وجدل حول قضية تستوجب وجود طرفين للنزاع من خلال وجود قضية، بواسطة عدد من الأدلة والحُجَج يتبناها كل طرف بهدف إثبات أو دحض ادعاء الطرف الآخر.

ولقد ورد الحجاج عند العلماء العرب قديمًا، فهذا الجاحظ يورد في حد البلاغة بعضًا من أقوال أهل الهند فيقول: «وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة». (الجاحظ، 1423، ج1، ص. 92)، ثم قال: «ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة: أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر». (الجاحظ، 1423، ج1، ص. 92)، فيشير الجاحظ بهذا إلى اعتبار البصيرة بالدلائل الحجاجية عند اختيار الحجج وفق مقتضى الحال من أوجه البلاغة، كما أنه تطرق بهذا إلى بعض التقنيات في الحجاج كالعدول عن التصريح إلى الكناية إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وأبعد عن تحقيق الغاية التي يهدف إليها الحجاج، كما أنه ذكر رواية في تفسير البلاغة فقال:

«لم يفسّر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط! سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة: فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سجعًا وخطبًا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز، هو البلاغة». (الجاحظ، 1423، ج1، ص. 114)

فهو بهذا يورد الأصناف التي تدخلها أبواب البلاغة التي منها ما يكون في الاحتجاج؛ حتى تضفي عليها لباسًا يتشكل وفقًا لمقتضى هذا الصنف أو ذاك.

وقد ذكر ابن وهب الكاتب الحجاج من خلال ذكر استعمالاته (الكاتب، 1969، ص. 150)، كما أنه وضع مبحثًا للجدل والمجادلة (الكاتب، 1969، ص. 176)، وذكر بعضًا من تقنيات الحجاج حيث قال:

«إن العلة إذا كانت مأخوذة مما يوافق الخصم فيه، فلا مطعن له فيها... وإذا كانت العلة مأخوذة مما يخالفك فيه الخصم، فليس يجوز أن تحتج عليه بها إلا بعد أن تعلمه أن علتك مأخوذة مما يخالفك فيه، وأنه لا سبيل إلى تعريفه صحتها إلا بعد أن تصح عنده المقدمات التي أوجبتها»(الكاتب، 1969، ص. 182).

وعقد أبو هلال العسكري بابًا سماه: في الاستشهاد والاحتجاج (العسكري،1427، ص. 381). وأدخل فيه الحجاج وذكر أنَّ «هذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته» (العسكري،1427، ص. 381).

وأورد حازم القرطاجني مفهومًا للحجاج، إذ عده من وجوه الكلام بقوله: هو «كل كلام يحتمل الصدق والكذب. إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص. وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال» (القرطاجني، حازم، 1986، ص. 62).

هذه ومضة لذكر الحجاج عند الأقدمين، وتطرقهم لمجالاته وتقنياته، غير أنه وإن كان لصيقًا عندهم بالجدال القائم على الخصومة إلا أنه اتخذ شكلًا آخر يدخل في حيز تذييل المعاني في البلاغة العربية، ولكنه رغم وروده عندهم وتأطيرهم لبعض مدلولاته

لم يتبلور بشكل دقيق وفق مفهومه في الدراسات الحديثة من حيث اتساع موضوعه ومفهومه، وتعدد أساليبه وتنوع تقنياته، وتغلغله في مفاصل الاتصال وأبعاده التداولية، وما يهدف إليه الخطاب من التأثير في المتلقي على اختلاف نوع هذا التأثير وتعدد مستوياته، وقد بيَّن عبد الله صولة: إن مفهوم الحجاج «في الدراسات الحجاجية على ضربين: ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق، فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال؛ إذ هو يُعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة. وضرب هو واسع المجال؛ لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ» (صولة، 2007، ص. 8)، إضافة إلى أن النص الحجاجي يتميز عن غيره «بكونه خطابًا مبنيًا وموجهًا وهادفًا مسبقًا بظروف تداولية، تدعو إليها إكراهات قولية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو علمية، أو عملية، أو سياسية تتطلب الدفاع عن الرأي والانتصار لفكرة تتطلب نقاشًا حجاجيًا يلامس الحياة الاجتماعية، أو المؤسساتية بهدف تعديل فكرة، أو نقل أطروحه، أو جلب اعتقاد، أو دفع انتقاد» (عبد الرحمن، 1998، ص. 226)، كما أقر عبد الله صولة تعريف بيرلمان وتيتيكاه للحجاج بأنه: «درس تقنيّات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»(صولة، 2011، ص. 13).

وعليه، فإن مفهوم الحجاج في العصر الحديث قد اتسعت دائرته، وتعددت منطلقاته، وتنوعت نظرياته، فتنازعته عدد من العلوم اللغوية والبلاغية والفلسفية والقانونية؛ إذ يتخذ الخطاب الحجاجي من التقنيات اللغوية التداولية، والتقنيات البلاغية الجمالية منطلقًا يرتكز عليه في بناء حجاجية الخطاب، وقصدية التأثير في المتلقي إلى غيرها من تقنيات فلسفية ومنطقية.

المطلب الثاني: مواضع نداء (يا أبَتِ) في القرآن وسياقاتها.

يُعد أسلوب النداء من أكثر الأساليب شيوعًا في اللسان العربي باعتباره واحدا من أساسيات الخطاب التداولي التي يُقصد بها –في الأصل– تنبيه المنادى؛ لإبلاغه خطابًا الغالب فيه: طلب أمرٍ، أو امتناع عن أمرٍ، كما أنه أَحَدُ ركائز الجملة الطلبية التي تعتمد عليها مقاصد عملية التواصل بين طرفي الخطاب، إضافة إلى أن أسلوب النداء يتشكل وفق مقامات طلبية ومقتضيات سياقية تحتم وجودَها قصديةُ الخطابِ في العملية التواصلية.

وقد ورد النداء بـ(يا أبَتِ) في القرآن الكريم في ثمانية (8) مواضع، موضعين في نداء يوسف لأبيه –عليهما السلام–، وذلك في بداية القصة ونهايتها من سورة يوسف، وأربعة مواضع في نداء إبراهيم –عليه السلام– لأبيه في سورة مريم، وموضع واحد في نداء ابنة الرجل الصالح لأبيها في سورة القصص، وموضع واحد في نداء إسماعيل –عليه السلام– لأبيه في سورة الصافات، وهي كالآتي:

الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4]

الموضع الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100]

الموضع الثالث: قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: 42]

الموضع الرابع: قال الله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 43]

الموضع الخامس: قال الله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: 44]

الموضع السادس: قال الله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: 45]

الموضع السابع: قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]

الموضع الثامن: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102]

وقد وردت سياقات النداء بـ(يا أبَتِ) عند يوسف عليه السلام في الموضع الأول: في بداية القصة عندما أخبر أباه بالرؤيا التي رآها، وفي الموضع الثاني: في نهاية القصة عندما رفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا. وأما نداء إبراهيم –عليه السلام– فقد ورد في أربع نداءات لأبيه في أربع آيات متوالية، وذلك في سياق نصحه له بتوحيد الله –عز وجل– ونبذ عبادة الأصنام. وأما نداء ابنة الرجل الصالح فقد ورد في سياق طلبها استئجار أبيها لموسى –عليه السلام– بعد أن سقى لهما. وأما نداء إسماعيل فقد ورد في سياق رده على نداء أبيه –عليهما السلام– بشأن رؤية ذبحه ابنه في المنام. هذه سياقات النداء بـ(يا أبَتِ) الواردة في القرآن الكريم التي هي مادة هذه الدراسة الحجاجية.

المبحث الأول: الأفعال الكلامية.

إن أسلوبية الحجاج التداولي تتكئ على وظيفة اللغة التواصلية وعلاقتها بمستعمليها، والنظر إلى اللغة على أنها «خطاب تواصلي وظيفي، ذات قوة إنجازية مع المتلقي، بمعنى أن النص بوصفه خطابًا لا يسعى إلى متعة المتلقي وتقديم معلومات له فحسب، وإنما يسعى إلى أن يتوصل معه ضمن سياق المقام» (صادق، 1436، ص. 50)، ويكون ذلك من خلال استثمار الطاقات الإنجازية في الأفعال الكلامية بوصفها تمثل بُعْدًا تداوليًا في النص، إضافة إلى التركيز على الروابط الحجاجية التي «تسهم في تحديد العلاقة الخطابية بين المتكلمين من جهة، وبين أطراف النص من جهة أُخرى» (صادق، 1436، ص. 52)، وكذلك العناية بالعلاقة التراتبية عند حشد الحجج أو ما يسمى بالسلالم الحجاجية، إضافة إلى باقي الظواهر، وبهذا ينطلق الحجاج

اللغوي التداولي من بُنية اللغة ذاتها، بمعنى أن «اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية» (علوي، 2010، ج1، ص. 56)، وليس وفق معطيات بلاغية مقامية فحسب.

وتعد دراسة الأفعال الكلامية في النص من أساسيات الخطاب الحجاجي؛ ذلك أنها تقتضي –في ذاتها– تحقيق قيمة إنجازية في الخطاب، تتحدد هذه القيمة وفق مقتضى الحال؛ «إذ تحسب الأفعال مؤثرات حجاجية؛ لأنها تحفز المتلقي على توليد ردة فعل عنده تمكنه من تحديد مقصدياتها» (صادق،1436، ص. 138)، فالتواصل الإنساني يكون من خلال اللغة، وهذا يتطلب إنجازًا للأفعال الكلامية فـ»عند محاولة الناس التعبير عن أنفسهم، فإنهم لا ينشئون ألفاظًا تحوي بنىً نحوية وكلمات فقط، وإنما ينجزون أفعالًا عبر هذه الألفاظ» (بول، 2010، ص. 81)، كما أنَّ «للفعل الكلامي وظائف تداولية مرتبطة بقصد المخاطِب من أهمها وظيفته الحجاجية التي تزيد من فاعليته الإنجازية ... ولا سيما تلك المرتبطة بوظيفتين: التأثير والإقناع» (عبد الرحمن، 1998، ص. 260).

وعليه، فإن الأساليب الإنشائية تعطي مقصدية واضحة للغة، ولا سيما من ناحية البعد التداولي والسياقي (صادق، 1436، ص. 137)، كما أن الجمل الإنشائية تتوافق مع توجهات الخطاب الحجاجي (آرمينكو، فرانسو، 1986، ص. 6)، إضافة إلى أن الأساليب الإنشائية تُعد «تراكيب محفزة تستدعي النهوض بالحجة بوصفها ممرات ضمنية لقوة الحجة وتأثيرها في المتلقي... ومنه ترتبط اللغة بإنجاز الوقائع»(صادق، 1436، ص. 137).

وتتطلب هذه الدراسة الانطلاق من أسلوب النداء باعتباره أساس موضوع الدراسة، إضافة إلى ربطه مع أفعال كلامية تمثل قوة إنجازية: كالاستفهام، والنهي، والأمر، وغيرها من الأفعال الكلامية التي تقترن مع النداء في سياق الخطاب الإقناعي والتي ترد لتحقيق قصدية النداء بـ(يا أبَتِ).

وقد تضمنت آيات النداء بـ(يا أبَتِ) في القرآن الكريم عددًا من الأفعال الإنجازية الطلبية كان لها دورٌ في قصدية تأثير المرسل بالمتلقي وإقناعه، فوردت بأداة النداء (ياء)، وبالمنادِي: وهو الابن أو الابنة، وبالمنادَى: وهو الأب، وبقصدية النداء في كل موضع بحسب غاية المنادِي؛ «إذ إنَّ للنداء فعلًا إنجازيًّا مخصوصًا يميل إلى الاتجاه صوتيًّا إلى المخاطَب» (صادق، 1436، ص. 151).

فيطالعنا النداء بـ(يا أبَتِ) وفق ترتيبها في سور القرآن الكريم نداء يوسف عليه السلام، وذلك في موضعين، الأول: في مطلع قصته عندما رأى أن أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، فنادى أباه؛ لإعلامه خبر الرؤيا، وانتظاره فعلًا إنجازيًّا بعد سماع الخبر بعد النداء، فقال: (إني رأيت)، وفي هذا تكثيف لتحقيق قصدية النداء، بمعنى أن يوسف عليه السلام ينتظر تأويلًا أو توجيهًا من أبيه؛ لعلمه بأن لهذه الرؤيا شأنًا، فتَحفَّز الخطاب بالنداء بصفة الأبوة (يا أبَتِ) خصوصًا أن «النداء مع حضور المخاطب مستعملٌ في طلب إحضار الذهن؛ اهتمامًا بالغرض المخاطب فيه» (ابن عاشور، د.ت، ج5، ص. 212)، فالمنادَى (أب) وهو أيضًا (نبي)، وهذه محفزات لقصدية النداء، وأن غاية المنادِي تحقيق فعلٍ إنجازيٍّ من المنادَى؛ لذا تضمن الفعل الإنجازي من المنادَى النداء بصفة البنوة ﴿يَا بُنَيَّ﴾ هذا أولًا، ثم أتاه التوجيه ثانيًا بعدم ذِكر هذه الرؤيا لأخوته ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾، ثم أطلعه ثالثًا على العلة من النهي عن فعل هذا الأمر بكيدهم له ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، ثم أخبره رابعًا بعمق عداوة الشيطان للإنسان، وأنه سيتدخل في كيد الإخوة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 5].

وعليه، فقد أنجز المنادَى وهو يعقوب عليه السلام فعلًا إنجازيًّا من خلال نداء يوسف عليه السلام له بـ (يا أبَتِ)؛ ذلك أن السياق الوارد بعد النداء حمل مقصدية المنادِي، وهو طلب التوجيه عن خبر الرؤيا، وقد تحقق هذا التوجيه، فتبين أن النداء هنا ليس غايته إقبال المخاطب فحسب، بل لتحقيق فعل إنجازي ضمن سياقه الذي ورد به.

وأما الموضع الثاني من نداء يوسف عليه السلام بـ(يا أبَتِ) ففي خاتمة قصته، وذلك بعد أن رفع أبويه على العرش وخروا له سجَّدًا ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 100] فنادى أباه بعد أن خروا له سجدًا؛ لإفادته أنه بسجودهم له قد اكتمل تحقق رؤياه التي رآها من قبل (البغوي، 1420، ج2، ص. 515؛ ابن كثير، 1431، ج4، ص. 534)، وكأن في هذا إرادة يوسف عليه السلام التحدث بآلاء الله عليه، وإشراك أبيه عليه السلام بسياق هذه الآلاء، والإفادة بأن في سجودهم له تحققًا للرؤيا التي رآها وقص أحداثها على أبيه: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾؛ وليثبت تفضل الله تعالى عليه بتحقق أحداث هذه الرؤيا: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾، وتفضله أيضًا بإخراجه من السجن: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، وتفضله كذلك بمجيء أبويه من البدو: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾، ثم يختم سياق ندائه لأبيه بقول: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100]، وكأنه بهذا النداء لأبيه يريد إقرار فعلٍ إنجازيٍّ يتمحور حول إفادة أبيه باكتمال المنَّة عليه وبلوغه أعلى مراتب الكمال وملازمة لطف الله تعالى وعلمه وحكمته لجميع الأحداث التي مرت عليه إلى أن وصل إلى هذه المنزلة، وهذا ما أفاده سياق المعنى بعد هذه الآية ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ إلى قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

وأما نداء إبراهيم عليه السلام فقد جاء في أربعة مواضع متوالية تكرر فيها النداء بـ(يا أبَتِ) مع كل فعلٍ إنجازي قصده إبراهيم عليه السلام من أبيه؛ مراعاةً في هذا التكرار ما يقتضيه مقام المخاطَب من إعراض وعناد (البيضاوي، 1418، ج4، ص. 11)؛ الأندلسي، 1420، ج7، ص. 268)، فارتبط النداء في الموضع الأول بالاستفهام الإنكاري ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: 42]، ففي النداء

تحفيز للمتلقي على إنجاز فعل معين يتمثل في طلب مراجعات عقلية في عبادة من لا يستحق العبادة؛ فاستفتح المنادِي (إبراهيم عليه السلام) نداءاته لأبيه بأسلوب الاستفهام بهدف تحفيزه إلى القيام بفعلٍ مخالف لما هو عليه، لا سيما إذا كان المرسل هنا يخاطب عقلية المتلقي بقصدية «إضعاف موقف المتلقي معنويًّا، وإلزامه بالجواب والإقرار بما يريده المرسل» (صادق، 1436، ص. 139)، فالمرسل هنا وهو (إبراهيم عليه السلام) لا يريد من الاستفهام فهم أمر لا يعرفه، بل «ليفيد عددًا من المعاني المختلفة في مقامات مختلفة، وفق مقاصد المتكلم وعلاقته بسامعه» (الزنّاد، 1992، ص. 106)، فهو هنا يتوخى قصدية إفهام المتلقي (أبيه) بفعلٍ إنجازي مطلوب تحقيقه، يتمثل في نبذ عبادة هذه المعبودات التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئًا، و «تنبيهًا على شنعة الرأي وقبحه وفساده في عبادة من انتفت عنه هذه الأوصاف» (الأندلسي، 1420، ج7، ص. 268)، وإفراد الواحد الأحد بالعبادة! كل ذلك في سياق قصدية الاستفهام التي تعني «حصول صورة المراد فهمه في النفس، وإقامة هيئته في العقل...وطلب حصول صورة الشيء في الذهن» (أبو موسى، 1408، ص. 203).

كما أن نداء إبراهيم عليه السلام لأبيه في الموضع الثاني ارتبط بأسلوب الأمر الذي يُعد أسلوبًا حجاجيًّا يهدف إلى قصدية الإنجاز؛ لذا أعقب نداءه لأبيه المتمثل بقوله: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ بالأمر باتباعه، قال: ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 43]، فسياق مقام الأمر هنا لا يفيد الاستعلاء والإلزام كما هو مقرر في صيغة الأمر أنها «صيغة تستدعي الفعل أو القول يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الاستعلاء والإلزام» (العلوي، د. ت، ج3، ص. 281-282)، بل خرج الأمر هنا عن قصدية الاستعلاء والإلزام إلى مقام استعطاف وتودد ونصح من ابن لأبيه، «ومن ثَمَّ ناداه بهذا اللفظ الرقيق الذي هو عنوان أقوى الروابط بينهما، واستعمل أداة البعيد إشعارًا بعلو منزلته، وعنايته بتنبيهه» (أبو ستيت، 1412، ص. 569)؛ بقصدية الهداية واتباع الصراط السوي، وهذا هو الفعل الإنجازي الذي يهدف إليه المرسل من ندائه للمخاطب، واستثماره للقوة الإنجازية في تقوية الحجة من خلال فعل الأمر؛ ذلك أن «فعل الأمر فعل كلامي مباشر ترتبط دلالته بالقول، ويشكل بذلك قوة إنجازية ترتبط بذلك القول» (المتوكل، 1986، ص. 171).

وأما الموضع الثالث من نداءات إبراهيم عليه السلام لأبيه فقد ارتبط بأسلوب النهي الذي يقتضي إنجاز أفعال الكف والترك، فقال مخاطبًا أباه: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾، وقد تواصل المنادِي مع المنادَى في هذا الخطاب من خلال حشد طاقة الترك في الفعل الإنجازي وإنجاز نقيضه؛ ذلك أنه أضاف إلى طاقة فعل النهي المتمثلة في (لا تعبد الشيطان) إثبات حقيقة قطعية الثبوت تتمثل في قول: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: 44]، وبهذا يكتسب الخطاب في سياق هذه الآية القوة الإنجازية المتمثلة في أسلوب النهي من جانب، وما يقتضي التأثير في المتلقي من ملاطفة ونصح من جانب آخر كما هو الحال في النداء بصفة (الأبوة)، واختيار اسم (الرحمن) من بين أسماء الله الحسنى. ثم يختتم إبراهيم عليه السلام نداءاته لأبيه في الموضع الرابع بإبداء تخوفه من وقوع العذاب، والانضمام إلى حزب الشيطان، فقال بعد النداء: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ فارتبطت القوة الإنجازية في النداء هنا بالتخويف من عذاب الله، ولكنه ألبس هذا الوعيد لباس النصح والشفقة؛ تلطفًا مع مقام الأبوة فقال: ﴿يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾، وقال: ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، فارتبطت إنجازية النداء بمحاولة التأثير في المتلقي من خلال التخويف من عذاب الله، والترغيب والإغراء بمقام الرحمة المتحققة -ضمنيًّا لأولياء الرحمن والمضادة لقول: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: 45].

وعليه، فإن أسلوب النداء في المواضع الأربعة من نداءات إبراهيم عليه السلام لأبيه أتى في سياق منظومة من الأساليب الحجاجية والأفعال الإنجازية تشكلت من خلال تعدد التقنيات الإقناعية والسلالم الحجاجية -كما سيأتي- في سبيل التأثير على المتلقي (أبيه)، وعلى الرغم من اكتنازها كافة الوسائل الخطابية التأثيرية إلا أن النتيجة من مستقبل هذا الخطاب كانت الإعراض والعناد والتهديد!

وبالانتقال إلى نداء ابنة الرجل الصالح لأبيها بعد أن سقى موسى عليه السلام لها ولأختها عندما وردا ماء مَدْيَن، فجاءته إحداهما تخبره بدعوة أبيها له؛ ليجزيه أجر السقيا، وذهب إلى أبيها وقصَّ عليه خبره، وطمأنه الشيخ الصالح بأن له الأمان، وأنه نجا من القوم الظالمين، عندها ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]، فارتبط النداء هنا بفعل الأمر (استأجره)، فقصدية النداء هو طلب البنت من أبيها استئجار موسى عليه السلام، وقد أفاد السياق أن غاية الأمر من خطاب البنت لأبيها لا تقتضي الإلزام والاستعلاء بل النصح والمشورة؛ إذ قالت: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، وهذا تعليل من المرسل وهي (البنت)؛ رفعًا للمستوى الحجاجي في سياق النداء؛ وليتحقق الهدف المبني عليه الخطاب وهو استئجار موسى عليه السلام الذي وصفته بالقوة والأمانة، فاتخذ المرسل (البنت) أسلوب النداء لأبيها (يا أبَتِ)؛ تحفيزًا وتنبيهًا لقصدية النداء، ثم تشكل موضوع النداء بصيغة الأمر (استأجره) والذي يقتضي نصحًا ومشورة، ثم اكتسب الفعل قوة إنجازية للمتلقي من خلال تأكيد الخيرية في استئجار القوي الأمين؛ لذا فإن القوة الإنجازية في الخطاب والمتمثلة بفعل الأمر والتعليل بالقوة والأمانة أشركت المتلقي (الأب) في الاقتناع وموافقة هذا الرأي مع صاحب النداء (البنت)، بل زاد على مجرد استئجاره له إلى تزويجه إحدى ابنتيه، وجعل استئجاره له صداقًا لها: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ [القصص: 27]؛ فتحقق بذلك قصدية النداء.

وأما نداء إسماعيل عليه السلام لأبيه فقد كان ردًّا على نداء الأب (إبراهيم عليه السلام) لابنه ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي

أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، فيأتي الرد من الابن ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. وقد ارتبط نداء إسماعيل عليه السلام بفعل الأمر (افعل) فيشيعُ سياق النداء نمطًا حواريًّا بين أبٍ يرى رؤيا نبوية تتمثل في ذبح ابنه، ثم يفتح قناةً للحوار وإبداء الرأي مع هذا الابن: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، ثم يأتي الرد: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102]، مرتبطًا نداء المرسل (إسماعيل عليه السلام) بصيغة الفعل (افعل)؛ لتحقق أقوى درجات القصدية في إيقاع الفعل، فلم يقل: (أرى أن تفعل ما تُؤمر)، بل جزم بالفعل وحسمه من خلال القوة الإنجازية في فعل الأمر (افعل ما تؤمر)، ثم ارتقى الخطاب حجاجيًّا في سياق النداء بجملة ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾؛ ليكتسب خطاب الابن لأبيه مضمونًا إقناعيًّا بالتسليم التام لهذا الأمر، وقد تحقق ذلك إنجازيًّا بقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: 103]، وهنا يثبت توافق الفعل الكلامي مع الفعل الإنجازي في خطاب إسماعيل لأبيه عليهما السلام، ومن هنا يتبين حضور الأفعال الكلامية في الخطاب مُآزرةً لقصدية النداء بـ(يا أبَتِ)، ومحققةً غايته الحجاجية في نسق تداولي.

المبحث الثاني: الروابط الحجاجية.

تمثل الروابط الحجاجية أدوات ربط بين دلالات لغوية وسياقات معنوية داخل النص الحجاجي، فهي أدوات يتكئ عليها النص تبرز التقنيات التي اعتمدها المرسل في إيصال رسالته إلى المرسل إليه؛ «إذ تتفاعل هذه الروابط داخل نسيج الخطاب؛ لتخلق الدلالة الحجاجية؛ مما يجعل التوقف عندها أمرًا لابد منه؛ لدورها الفاعل والمهم في النص» (صادق، 1436، ص. 17-72)؛ إذ إنها «تمثل الروابط التداولية الحجاجية في النص، فتحقق الوظيفة الحجاجية من خلال أنها تضمن تلاحم أجزاء النص، وعناصره واتصال بعضه ببعض» (المبخوت، د. ت، ص. 367).

واللغة العربية كسائر اللغات تشتمل على روابط حجاجية تتبين أهميتها من خلال الدور الحجاجي الذي تؤديه داخل السياق؛ لذا فإن أهمية أدوات الربط في النص تكمن في قيمتها الحجاجية (صادق، 1436، ص. 73)، وتأديتها لما يقتضيه المقام داخل النص، وهذا ما أكد عليه عبد القاهر الجرجاني (471هـ) بقوله: «لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظمُ بنَظْمه غيرَ أنَ ينظرَ في وُجوهِ كلِّ بابٍ وفُروقِه... وينظرَ في (الحروف) التي تَشْتركُ في معنىً، ثم يَنفردُ كلُّ واحدٍ منها بخصوصيةٍ في ذلك المعنى، فيضع كلًا من ذلك في خاصِّ معناهُ، نحْوَ أن يجيءَ بـ (ما) في نفي الحال، بـ (لا) إذا أراد نفي الاستقبال... فيعرفَ مَوْضعَ الفصلِ فيها مِن موضعِ الوَصْل، ثم يعرفَ فيما حقُّه الوصْلُ موضعَ (الواو) من مَوْضعِ (الفاء)، وموضعَ (الفاء) من موضعِ (ثُمَّ)، وموضعَ (أو) من موضعِ (أم)، وموضعَ (لكنْ) من موضعِ (بل)» (الجرجاني، 1413، ص. 81، 82).

وبالنظر إلى آيات النداء بـ(يا أبَتِ) في القرآن يبرز دور الروابط في سياق خطاب النداء بين الأبناء والآباء؛ مما يوثق خيوط النسج بين أطراف العملية الخطابية، وفيما يأتي عرض لأبرز الروابط ودورها الحجاجي في أسلوبية الآيات موضع الدراسة، وستكون دراستها على ترتيب كثرة ورودها في سياقات أسلوب النداء بـ(يا أبت):

(إنَّ):

وتأتي (إنَّ)؛ للتحقيق وللتوكيد، وهي إضافة إلى عملها اللغوي في الجملة تكون رابطًا في الخطاب الحجاجي، وقد وردت في سياق الآيات من خلال ربط خطاب النداء بما بعده في قوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4]، فالمقام مقام رؤيا يرويها يوسف لأبيه عليهما السلام، فأتت (إنَّ) مضاف إليها (ياء المتكلم)؛ زيادة في تحقيق وتأكيد أمر هذه الرؤيا وربطها في نفس المرسل، فانظر إلى بنية الآية الكريمة من غير وجود هذا الرابط، ثم انظر إلى بنيتها مرة أخرى بعد إضافتها إليه تجد بونًا شاسعًا بين البنيتين، فأكسب الربطُ الخطابَ دلالات وإيحاءات جعلت من خطاب يوسف عليه السلام يصل إلى مقامات عالية من التحقيق واليقين إلى مُستقبِل الخطاب؛ لذا بادر بالتوجيه والنصح؛ فتحقق بذلك إحكام الربط بين صدر الخطاب المتمثل بأسلوب النداء وبين موضوع الخطاب المتمثل بسرد أحداث الرؤيا، وهو ليس مجرد ربط عابر بين أطراف الخطاب، بل أضفى على أسلوبية الخطاب توهجًا وتوكيدًا باعثه شأن أمر الرؤيا في نفس يوسف عليه السلام، فلو حُذفت أداة الربط(إنَّ) من الخطاب في غير القرآن الكريم لاستقام أصل المعنى، ولكن الخطاب يفتقد بحذفها تحقيق شأن الرؤيا في نفس يوسف عليه السلام مما يجعل عِظم أمر الرؤيا في خطاب الرائي، وعِظم شأنها في نفسه، وتأكيد وقوعها بهذا الوصف لا يتحقق إلا بقوله: (إنّي). وهذا ما اكتسبه أسلوب الخطاب من خلال هذا الرابط الحجاجي، وهذا ينطبق على ذات الرابط في خطاب إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام في قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، فأشاع الربط بـ(إنَّ) مع (ياء المتكلم) زخمًا دلاليًّا في ثنايا الخطاب، وأضفى عليه دلالة التحقيق والتوثيق والتأكيد والصدق مما جعل مُستقبِل هذا الخطاب يمتثل امتثالًا جازمًا لتحقيق غاية خطاب الأب ويقول: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

كما وردت (إنَّ) مع إضافتها إلى ياء المتكلم في سياق آخر، وذلك في قول الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام في خطابه لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 43]، وفي هذا ربط حجاجي في سياق النداء بأداة الربط (إنَّ) مضافة إلى ياء التكلم، وفيه تحقيق وتأكيد من إبراهيم عليه السلام لأبيه بأن لديه من العلم ما لم يأته، وحثه على اتباعه؛ لتتحقق له الهداية إلى الطريق السَّوي! وقد أضفت الأداة (إنَّ) مزيدًا من تكثيف التأكيد على حجاجية الخطاب بتأكيد مجيء العلم في سياق النداء من صاحب الحجة، وهو إبراهيم عليه السلام ونفي مجيئه عن والده، فأتت أداة الربط موثقةً للارتباط بين أسلوب النداء المتمثل في (يا أبَتِ) وبين إثبات حقيقة مجيء العلم لإبراهيم عليه السلام.

كما وردت أداة الربط (إنَّ) في تكرار نداءات إبراهيم عليه السلام لأبيه وذلك في قول: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: 44]. ففي هذا ربط للخطاب بين النهي عن عبادة الشيطان وبين حقيقة عصيان الشيطان للرحمن، فأتت دلالة (إنَّ) في سياق الخطاب لإثبات الحجة العقلية على مُستقبِل الخطاب، ومعللةً للنهي عن عبادة الشيطان بإثبات حقيقة عصيان الشيطان للرحمن، وكأنها هنا تتجاوز مجرد التأكيد والتحقيق إلى التعليل والتفسير، بمعنى أن الخطاب المتمثل بالنهي عن عبادة الشيطان ينتقل من خلال أداة الربط (إنَّ) إلى مقام عقلي يتمثل في حقيقة عصيان الشيطان للرحمن جل جلاله، وما دامت هذه حقيقته فهو غير جدير بالعبادة. ثم ينتقل خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه إلى مقام آخر، وذلك في قول: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: 45]، فأتت أداة الربط (إنَّ)؛ لتلصق التخوف من حصول العذاب بنداء إبراهيم عليه السلام لأبيه، فيتوشح خطاب الابن لأبيه بأسلوب الشفقة والتخوف من حصول العذاب، فلو وردت صيغة الخطاب من دون الرابط (إنَّ)، فقال: يا أبت أخاف أن يمسك عذاب...إلخ، لثبت التخوف من الابن لأبيه من خلال فاعل الفعل (أخاف)، وهو الضمير المستتر (أنا) الذي يعود على إبراهيم عليه السلام، ولكن عاطفة الابن لأبيه وخوفه عليه ارتفعت بحجاجية الخطاب إلى عمق التخوف من التعرض لعذاب الله تعالى على هذا الأب الذي اتبع سبيل الغواية، فقال: (إنِّي أخاف..)؛ فتوثق بهذا أسلوب الخطاب بين النداء وبين دافع التخوف متضمنًا أسفًا وشفقة؛ فالتحمت من خلال هذا الرابط مقدمة الخطاب بنتيجته.

ويرد الربط بـ(إنَّ) في مقام آخر من النداء بـ(يا أبَتِ) في قول الله تعالى حكاية عن بنت العبد الصالح لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]، وفي هذا الخطاب حث وتوجيه باستئجار والدها لموسى عليه السلام، فأتت أداة الربط (إنَّ) للربط بين الغرض من ندائها لوالدها وهو استئجاره لموسى عليه السلام وبين الحث والترغيب والإغراء بخيرية استئجار من تحققت فيه صفتا القوة والأمانة، فتوسطت (إنَّ) بين أمر الاستئجار وبين الحث عليه فاكتسب الخطاب الحجاجي من خلال أداة الربط تحقيق الإقناع والاقتناع بخيرية هذا الفعل الذي كان دافعه إعجابها بتحقق هذه الصفات النبيلة بموسى عليه السلام؛ فارتبطت بذلك مقدمة الخطاب بنتيجته.

(قَدْ)

وتأتي (قَدْ)؛ للتحقيق ولتقريب الماضي، قال ابن يعيش: «(قد) حرف معناه التقريب، وذلك أنك تقول: قام زيد، فتخبر بقيامه فيما مضى من الزمن، إلا أن ذلك الزمان قد يكون بعيدًا وقد يكون قريبًا من الزمان الذي أنت فيه، فإذا قرَّبته بـ(قد) فقد قرَّبته مما أنت فيه، ولذلك قال المؤذن: قد قامت الصلاة، أي: حان وقتها في هذا الزمان» (ابن يعيش، 1422، ج5، ص. 92).

وتُعد (قَدْ) من أدوات الربط الحجاجي بين الجمل حيث وردت في سياق النداء كما في قول الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: 100]، ففي هذا نداء وإخبار يوسف عليه السلام بأن هذه الأحداث هي تأويل رؤياه التي ذُكرت في مطلع السورة، فقال: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾، فوصلت أداة الربط (قد) بين مقدمة خطاب النداء وبين نتيجته التي يثبت بها يوسف عليه السلام في خطابه لأبيه أن هذه الأحداث تأويل الرؤيا التي رآها من قبل، فوقعت (قَدْ) رابطًا بين جملتين في سياق الخطاب، وذلك بين جملة ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾، وجملة ﴿جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ ، فوثق الخبر لوالده عليه السلام بأن الله تعالى جعل تأويل رؤياه حقًّا، فأفادت أداة الربط تحقيق وتأكيد المتمثل في الجملة الأولى. إضافة إلى إفادة تقريب زمن الماضي بقوله: (قد جعلها)، وذلك أن يوسف عليه السلام لم يجزم بتحقق الرؤيا إلا بعد أن خرُّوا له سجدًّا، فكان الزمن قريبًا بين هذا وبين قوله: (جعلها ربي حقًّا)، وهذا ما أثبتته أداة الربط (قَدْ) من خلال التحقيق والتوثيق من جهة، ومن خلال إفادة قرب الزمن بين سجودهم له وبين يقينه مباشرةً أن نهاية سلسلة هذه الأحداث هي تأويل رؤياه من جهة ثانية. وهذا هو المقصد الأول في هذه الآية من نداء يوسف لأبيه عليهما السلام، ثم تطالعنا أداة الربط (قَدْ) في ذات الآية، وذلك بقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾، فبعد أن استقرت حجاجية الخطاب في إثبات تأويل الرؤيا يأتي هنا سياق الخطاب إلى ذكر تفضل الله عليه وإحسانه بأن أخرجه من السجن وجاء بأبويه من البدو، فربطت (قَدْ) بين الخطاب الذي بعدها بما قبلها من اكتمال النعمة عليه؛ بتحقق رؤياه على سبيل التحقيق والتأكيد، كما يُلحظ أن يوسف في خطابه لأبيه عليهما السلام لم يذكر أنه تبوَّأ مكانة في ملك مصر، وأن له مكانةً وشأنًا، بل ربط إحسان الله وتفضله عليه بشيئين، الأول في قوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، والثاني في قوله: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾، وعودًا على أداة الربط (قَدْ) فإنها –كما تقدم– تفيد التحقيق وقرب الزمن إذا سبقت الفعل الماضي، فهل خروج يوسف عليه السلام من السجن ومجيء أبويه من البدو متقاربان زمانًا؟ فالذي يظهر –والعلم عند الله– أن دلالة (قَدْ) قد ربطت بين خروجه من السجن وبين مجيء أبويه؛ لتختصر مسافة الزمن في نفس يوسف عليه السلام بين خروجه من السجن وبين رؤيته أبويه، وأنهما أعظم ما تفضل الله به عليه، فترتبطان مع بعضهما في خطاب يوسف لأبيه، ولم يرتبط الخطاب بالمناصب التي تبوأها أو غيرها، وكأن في هذا إيحاءً على أن أعظم ما مرَّ عليه وأثَّر في نفسه هو: السجن، وفراق أبويه؛ لذا فإن (قَدْ) في خطاب يوسف لأبيه تفيد بتقارب الزمن بين الحَدَثَيْن وجدانيًّا لدى يوسف، وإن لم يتقاربا زمنيًّا.

كما وردت أداة الربط (قَدَ) في سياق نداء إبراهيم عليه السلام لوالده بقول الله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: 43]، فتحمل أداة الربط (قَدْ) في طيَّاتها دلالة التحقيق ودلالة قرب الزمن، وذلك من خلال ربطها بين نداء

إبراهيم عليه السلام لأبيه وبين إخباره له بمجيء شيء من العلم لم يأتِ أبيه؛ فاكتسب الخطاب المرسل خاصية التحقيق والتوكيد، وهذا ما أراده إبراهيم عليه السلام في نصحه لأبيه عن عبادة ما لا يسمع ولا يبصر، كما أنَّ في قوله: ﴿قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾، إضافة إلى توكيد أسلوب الخطاب وتحقيق صدقه، مع ما فيه من كمال تأدب وملاطفة تتوشحها التقنيات الحجاجية في خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه، ومن ذلك إثبات مجرد مجيء شيء من العلم له ونفي هذا المجيء عن أبيه، فلم يذكر في خطابه أنه عالم، ولم يصف أباه بالجهل وعدم العلم، بل نفى عن والده مجرد مجيء العلم، وأثبت لنفسه مجيء شيء من العلم، وهذا كمال تأدب وملاطفة؛ لاستمالة قلب أبيه.

(الواو)

يُعد حرف العطف (الواو) من أهم الروابط الحجاجية التي يختص بها باب الوصل دون غيرها من أدوات العطف، قال عبد القاهر الجرجاني: «واعلم أنه إنما يَعرض الإشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف؛ وذاك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني، مثل أن (الفاء) توجب الترتيب من غير تراخٍ، و(ثمَّ) توجبه مع تراخٍ، و(أو) تردِّد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه...وليس لـ(الواو) معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعت فيه الثاني الأول» (الجرجاني، 1413، ص. 224).

وقد ورد حرف العطف (الواو) في خطاب يوسف عليه السلام من خلال خطاب الرؤيا لأبيه ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4]، فجاء حرف العطف (الواو)؛ لتشريك الشمس والقمر بالسجود ليوسف عليه السلام في خطاب الرؤيا مما جعله يتسق في سياق واحد يتمثل بالسجود؛ مما زاد في القوة التأثيرية للخطاب الحجاجي المتمثل في رؤيا يوسف عليه السلام؛ ليصل إلى التأثير في المتلقي وهو (يعقوب عليه السلام)؛ حتى أيقن أن هذا الخطاب لا يمكن أن يكون حدثًا عابرًا، بل جعله يصل إلى درجة عالية من التسليم والاقتناع بهذا الخطاب الذي تلقاه من ابنه يوسف عليه السلام؛ وهذا ما حمله على قول: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: 5].

كما يطالعنا الربط بـ(الواو) في سياق آخر من خطاب يوسف لأبيه عليهما السلام، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: 100]، فبعد أن ذكر لأبيه تحقق رؤياه، وأن الله قد جعلها حقًّا؛ تجلَّت في الخطاب أخلاق الأنبياء، وذلك من خلال رد الفضل والإحسان لله عز وجل، وعدم ذكر الابتلاءات التي مرَّت عليه وعلى أبيه، فرُبط الخطاب بـ(الواو) من خلال ربط جملة: ﴿قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ بجملة ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (صافي، 1416، ج7، ص. 96)، ثم عطف جملة: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ على جملة: ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، وكأنه في هذا الخطاب ومن خلال الربط بين الحجج المتتابعة يضرب صفحًا عن أي إساءة حصلت له أو لأبيه كان سببها كيد إخوته له، واكتفى بلمحةٍ لطيفة هادئة، محاولًا في خطابه لأبويه الابتعاد عن أي أسلوب يميل إلى الانتقام أو العِداء لأخوته، بل يلتمس لهم العذر بأن ما حصل بينه وبينهم ما هو إلا نزغة شيطان: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، كما أن عطف جملة: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ على جملة: ﴿قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ فيه تشريك بين نعمتين مَنَّ الله عليه بهما، الأولى: إخراجه من السجن. والثانية: مجيء أبويه من البدو، واختصار الزمن بين هذين الحَدَثين وجدانيًّا في نفسه –كما مر–.

كما ربطت (الواو) بين الحجج المتوالية في نداء إبراهيم عليه السلام لأبيه من خلال استفهامه الإنكاري عن عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئًا، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: 42]، فهذه الحجج المتمثلة في افتقاد ما يعبده أبوه من هذه الصفات جعلت منها (واو العطف) جملًا مترابطة متسقة مع بعضها البعض، بحيث كل صفة تقوي إقناعية انتفاء الصفة التي قبلها؛ طمعًا في الوصول إلى استجابة أبيه، وإقناعه بنبذ الشرك، وتوحيد الله في العبادة.

المبحث الثالث: السلالم الحجاجية.

تُعد السلالم الحجاجية نظامًا تراتبيًّا في عرض الحجج، وهي عبارة عن: «علاقة ترتيبية للحجج» (النقاري، 2006، ص. 59)، تُبنى على التَّدرج في الوصول إلى النتيجة من خلال التَّسلسل في إيراد الحجج من حيث ما يُقدِّره المرسل للتأثير بالمرسل إليه؛ للوصول إلى نتيجة يهدف إليها من خطابه، فهي «تفرض على المخاطب نمطًا معينًا من النتائج بِعَدِّها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير عليها» (الدريدي، 2010، ص. 23)، فالسلالم الحجاجية تمثل «صلب الحجاج في تدافع الحجج وترتيبها بحسب قوتها؛ إذ لا يلبث غالبًا إلا بالحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق؛ لذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه» (الشهري، 2004، ص. 500).

ويبرز السلم الحجاجي في النداء بـ(يا أبَتِ) في القرآن الكريم من خلال نداء إبراهيم عليه السلام لأبيه، وذلك في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: 42-45]وقد اعتمد خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه على ثنائية الأبوة بين (ابن وأبيه)، فالابن ناصح، والأب معرض عن هذا النصح، فيبتدئ الخطاب بملاطفة الابن لأبيه بقوله: (يا أبَتِ)؛ طمعًا في قبول خطاب النصح الذي اكتنز شفقةً وخوفًا على مقام الأبوة من عذاب الله إذا لم يمتثل لهذا الخطاب. فيتدرج خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه؛ رغبة في الوصول إلى نتيجة، ويتضح ذلك من خلال عدد من الأقوال الصادرة من المرسل، كما في الشكل الآتي:

شكل 1

السلم الحجاجي في الأقوال الصادرة من المرسِل

وبالنظر إلى هذا السلم الحجاجي يتبين تشكل العتبة الأولى من خلال النداء بصفة الأبوة بقوله: (يا أبَتِ)، وفي هذا تهيئة وجدانية وقولية للمتلقي في تقبل ما بعدها من خطاب، كما يتبين أن مرسل الخطاب لديه إدراك كامل في حال تلقي المخاطَب للخطاب، وأنه قد بلغ منزلة عالية من الإعراض وعدم الامتثال؛ لذا حشد له عدد من السلالم القولية، فانتقل بعد عتبة النداء بصفة الأبوة إلى الاستفهام الإنكاري فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: 42]؛ ليثير بهذا الاستفهام جدلًا عقليًا لدى متلقي الخطاب، يتمثل في حجة مفادها: كيف يُعقل أن يُعبد من دون اللهِ إلهٌ لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا، ثم ينتقل بعد هذا إلى تحقيق مجيء العلم له، وأن طريق الفلاح هو في اتباعه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 43]، وفي هذا تبيين وإيضاح إلى الطريق الصحيح المبني على علم يقين، فابتدأ بالعلم الذي يهدي إلى الصراط السوي، ثم ينتقل الخطاب إلى النهي والتحذير من عبادة الشيطان: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: 44]، ثم ينتقل بعد هذا إلى الإفصاح عن تخوفه من تعرض أبيه إلى عذاب الله، ويكون من أولياء الشيطان.

وقد اتسمت هذه السلالم القولية باللين في الخطاب والملاطفة في عرض الحجج، ويتضح ذلك من الابتداء بنداء الأبوة، ثم في قول: ﴿جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: 43]؛ إذ فيه تنزل إلى مستوى المخاطب؛ «فلم يُسَمِّ أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إنَّ معي طائفة من العلم وشيئًا منه ليس معك» (الزمخشري، 1418، ج4، ص. 24)، ثم تبرز الملاطفة في طلبه من أبيه اتباعه، وربط هذا الاتباع بتحقيق الهداية إلى الصراط السوي، ثم التحذير والنهي من عبادة الشيطان الذي هو للرحمن عصيّ، ثم تتبين الملاطفة واللين في خطاب إبراهيم لاستمالة قلب أبيه بقول: ﴿أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾؛ فاختار (المس) دون غيره، وهذا فيه اتساق مع مقام الخطاب الذي يقتضي الرفق من الابن لأبيه، كما تتبين الملاطفة والتودد في الخطاب عند ذكر اسم (الرحمن) المقترن بالرحمة دون غيره من أسماء الله الحسنى مع أن المقام مقام عذاب، وهذه غاية يتقصدها الخطاب للتأثير في المتلقي.

وعلى الرغم من إحكام السلم الحجاجي واكتمال التقنيات الحجاجية والأساليب الإقناعية في خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه إلا أن أباه قابل ذلك بالإعراض والتهديد والهجر، وعدم الامتثال للغاية من الخطاب، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: 46]، فما كان من رد المرسل على نتيجة المتلقي إلا القول: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: 47-48].

المبحث الرابع: التذييل.

إن أسلوبية الحجاج تتكئ -أيضًا- على الأساليب البلاغية الجمالية باعتبارها أدوات حجاجية تتَّخذ لاستمالة المتلقي والتأثير فيه من خلال الحجاج بالأسلوب الجمالي والتصوير البياني؛ أي: إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معًا، حتى يتقبل القضية أو الفعل موضوع الخطاب (مدقن، 2005، ص.47)، ويرتكز هذا الأسلوب على «درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أُطروحات،

أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم» (المبخوت، د. ت، ص. 13)، بل إنَّ البلاغة وفق المنطلق الحجاجي عُرِّفت بأنها: «علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع، أو هما معًا، إيهامًا وتصديقًا» (العمري، 2005، ص. 6).

وتُعد دراسة التذييل من موضوعات الإطناب في باب علم المعاني في البلاغة العربية، وهو «تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتأكيد» (القزويني، 1423، ص. 127)، وهو يأتي على ضربين: ما يجري مجرى المثل، وما لا يجري مجرى المثل (التفتازاني، 1428، ص. 496)، ودراسته هنا بوصفة ظاهرة حجاجية في سياق خطاب آيات النداء بـ(يا أَبَتِ) في القرآن الكريم، وما له من دور في تعزيز قصدية الخطاب والتأثير في المتلقي أو إقناعه، وما يوفره من قيمة مضافة تسهم في إقناع المتلقي أو حمله على الإذعان، ذلك أن التذييل يؤكد قصدية الخطاب، ويجعله قائمًا في نفس المخاطب، إضافة إلى ما فيه من إعانة للمتكلم على تأكيد الفكرة وتحقيقها في نفس المتلقي، وهو وإن عُد في البلاغة العربية من أساليب الإطناب إلا أنه معدود من المتطلبات التي يقتضيها المقام، فهو يخدم النص المرْسَل بتضمنه أفكار النص، ومن ثَمَّ تأكيدها في نفس المتلقي بصورة مختلفة.

وبالنظر إلى آيات نداء الأبناء نجد تذييلًا في خطاب يوسف عليه السلام لأبيه، وذلك في نهايات أحداث القصة عندما رفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا، ونادى أباه وأخبره بأن هذه الأحداث هي تأويل رؤياه من قبل قد جعلها الله حقًّا، وذكر فضل الله وإحسانه عليه بخروجه من السجن، ومجيء أبويه من البدو بعد أن نزغ الشيطان بينه وبين إخوته، ثم يُذيِّل كل ما سبق من أحداث بقول: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100]، فقال: (إن ربي لطيف لما يشاء)؛ ذلك أن يوسف عليه السلام في سياق هذه الآية يخاطب أباه من خلال تعداد بعض أفضال الله عليه وألطافه من تحقق رؤياه بسجود أبويه وخروجه من السجن، ولَمِّ شمله بمجيئهم من البدو. وهو بهذا يستعرض هذه الأحداث والوقائع، ويذيلها بإثبات لطف الله: (إن ربي لطيف لما يشاء)، فيؤكد نسبة كل الأحداث التي ذُكرت في خطابه لأبيه إلى تقدير الله ولطفه ومشيئته؛ وبهذا أحدث التذييل تأكيدًا للرسالة التي تضمنها خطاب الابن لأبيه عليهما السلام، إضافة إلى عدم حصر هذا التذييل وتخصيصه لحالة الخطاب فحسب. بل يصلح أن يجري مجرى المثل، بمعنى متى ما حدثت أحداث لشخص ما وتبين له عِظم لطف الله في هذه الأحداث، يصلح أن يذيل تلك الأحداث بقول: (إنَّ ربي لطيف لما يشاء)، وبهذا تتسع قصدية التذييل هنا إلى الإتيان بها متى ما اقتضاها المقام في سياقات مختلفة، كما يتبين تذييل آخر في ذات السياق لمضمون خطاب يوسف لأبيه عليهما السلام يتمثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾؛ ليؤكد بذلك خطابه لأبيه بأن كل الأحداث التي ذكر أحداثها لأبيه كانت تسير وفق علم الله وحكمته جل وعلا، إضافة إلى ما في هذا الخطاب من تحقيق وتوكيد يستمدهما من دلالة (إنَّ)، وربط الخطاب بالجملة التي قبله بضمير يعود إلى قوله: (ربي)، فلم يقل: إن الله عليم حكيم، بل ربط بين ما في هذه الجملة من علم وحكمة بلطف الله المتمثل في الجملة السابقة، إضافة إلى تحقيق قصدية الخطاب وتأكيده في نفس المتلقي من خلال دلالة ضمير الشأن في قوله: (هو)، وما يضفي على النص من تثبيت لمضمون الرسالة في ذهن المتلقي، وذلك نتيجة إلى الإيمان العميق من قِبَل المرسل (يوسف عليه السلام) بمضمون رسالته، والمتمثل باقتران لطف الله وعلمه وحكمته في جميع أحداث قصته.

وقد تبين استعانة المرسل بأسلوب التذييل في تقوية حجته للمتلقي وتوثيقها من نفسه في نداءات إبراهيم عليه السلام لأبيه، فبعد أن نهى أباه عن عبادة الشيطان بقوله: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ ذيَّل هذا الخطاب بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: 44]، فاستثمر المرسل ما في أسلوب التذييل من طاقة تعبيرية في تقوية قوتين إنجازيتين في ذات الخطاب: الأولى تتمثل في النداء بقوله: (يا أبت)، والثانية تتمثل في النهي بقوله: (لا تعبد الشيطان)، فيأتي التذييل بما يحمله من إضافة تُكسب الخطاب قوة تأثيرية تهدف إلى إكساب الرسالة قوة إقناعية تزلزل قناعات المخاطب وتقوده إلى الإذعان، وهذا ما تبين من نداء إبراهيم عليه السلام لأبيه في هذا الموضع، فأتت (إنَّ) مؤكدة ومحققة إثبات عصيان الشيطان لله جل وعلا، إضافة إلى لزوم هذا العصيان للشيطان، وذلك من خلال صياغة عصيان الشيطان بلفظه (عصيًا)، ولم يقل: إنه كان يعصي الله، بل قال: ﴿كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾، وبون شاسع بين التعبيرين من حيث تحقيق ثبوتية الدلالة وقوتها الإقناعية التي يستهدفها المرسل في رسالته؛ حتى تؤدي غايتها الحجاجية وقوتها التأثيرية، وهذا ما أضافه التذييل في هذا الموضع.

كما يتبين أسلوب التذييل في نداء ابنة الرجل الصالح ومشورتها لأبيها بأن يستأجر موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾، ثم ذيَّلت هذا الخطاب بقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]؛ ليتأكد بهذا مضمون الخطاب؛ وليرتفع بهذا التذييل مستوى إقناعية الرسالة لدى المخاطب، فقد كانت خلفية الخطاب تضج بإحسان موسى عليه السلام لابنتي الرجل الصالح؛ حيث سقى لهما في حال هما أشد احتياجا إلى السقيا، وهذه الحال تتضح من خلال قولهما لموسى عليه السلام: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23]، إضافة إلى القصص التي قصها على أبيهما والتي قال الله فيها: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 45]، كل هذه المعطيات حفَّزت مرسل الخطاب (ابنة الرجل الصالح) إلى إقناع أبيها ومشورتها له باستئجار هذا الرجل الذي اتصف بهذه الصفات الحميدة؛ فاصطبغ الخطاب بهذه المظاهر الحجاجية التي مر ذكرها في أسلوبي النداء والأمر، وأما هنا فقد اكتسب الخطاب إضافة إلى ما سبق قوة تأثيرية من خلال تذييله بإثبات خيرية استئجار القوي الأمين، وأن هاتين الصفتين (القوة والأمانة) محفزتان لإنجاز فعل

الأمر من استئجار أبيها لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾؛ ليجري هذا التذييل مجرى المثل في عدم اختصاصه بسياقه، بل إلى صلاحه لأن يكون مثلًا يُضرب في كل حادثة تتوافق مع هذه القصة، فعندما يُكلف شخص بعمل أو مسؤولية أو يكون اختيار للتكليف بين أشخاص يُستدعى هذا القول: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾. وبهذا يؤدي التذييل دوره الحجاجي في تقوية الحجة وتأكيدها وتثبيتها في نفس المتلقي وحثه على الإذعان للخطاب، وهذا ما تحقق في الغاية من نداء البنت لأبيها، بل زاد الأب على مجرد الاستئجار، فكانت النتيجة كما قال تعالى حكاية عن الأب: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: 28].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمين، وبعد

فإن هذا البحث تناول موضوع (أسلوبية الحجاج في نداء «يا أبَتِ» في القرآن الكريم – دراسة تداولية)، فرُسمت حدوده من خلال تتبع سياقات هذه الآيات، ورصد أبرز الظواهر الأسلوبية الحجاجية التي تؤدي دورًا فاعلًا لتحقيق الغاية الخطابية، وقد خرج البحث بنتائج كان أبرزها:

- اتساع مفهوم الحجاج عند المحدثين، وتجاوزه حدود المنطق من برهنة واستدلال فحسب إلى اشتماله مجمل التقنيات والظواهر الباعثة على إقناع المتلقي أو التأثير فيه بشكل أو بآخر.
- تعلق أسلوبية نداء الأبناء لآبائهم الحجاجية _باعتباره فعلًا إنجازيًا_ بعدد من الأفعال الكلامية؛ لتحقيق غاية النداء في آيات الدراسة، ومآزرة لها في تحقيق قصدية الخطاب.
- إن أسلوب الخطاب في نداء الأبناء لآبائهم اتكأ على أدوات الربط: (إنَّ، قد، الواو)؛ لتوثيق خيوط النسج، وتماسك الفكرة، وتركيز قصدية الخطاب.
- إن السلم الحجاجي لم يرد في سياق نداء (يا أبَتِ) إلا في مقام الخلاف العقدي بين الابن وأبيه كما في سياق نداءات إبراهيم عليه السلام لأبيه.
- الأساليب البلاغية أدوات أصيلة في تحقيق قصدية الخطاب من خلال العمل على تسليم المتلقي، أو زيادة درجة التسليم والتأثير فيه.
- للتذييل دور فاعل في تحقيق قصدية المرسل من تقوية للحجة، وتأكيدها في نفس المتلقي وتثبيتها.
- إن أبرز الظواهر الحجاجية التي تضمنها أسلوب نداء (يا أبَتِ) في القرآن الكريم هي: (الأفعال الكلامية، الروابط الحجاجية، السلم الحجاجي، التذييل).

التوصيات

- تكثيف الدراسات والأبحاث التطبيقية على الجانب الحجاجي في القرآن الكريم وتقنياته الخطابية، والانفتاح على عوالم أخرى من أسرار إعجازه وكمال بيانه.
- توظيف النظريات والدراسات الحديثة في خدمة القرآن الكريم، والتي تتناسب مع قدسيته؛ للوقوف على شيءٍ من مكنونات جماله وجلاله المعجز.

ختامًا، الحمد لله أولًا وآخرًا، وأسأل الله العفو عن التقصير والزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

ابن عاشور، محمد الطاهر. (د.ت). تفسير التحرير والتنوير. دار سحنون للنشر

ابن فارس، أحمد. (1399). معجم مقاييس اللغة. (تحقيق: عبد السلام هارون). دار الفكر.

ابن كثير. (1431) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). (تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، ط1)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1414). لسان العرب. (ط3). دار صادر.

ابن يعيش، (1422). شرح المفصل للزمخشري. دار الكتب العلمية.

أبو ستيت، الشحات محمد. (1412). خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام. مطبعة الأمانة.

أبو موسى، محمد محمد. (1408). دلالات التراكيب (دراسة بلاغية). (ط2). مكتبة وهبة.

آرمينكو، فرانسو. (1986). المقاربة التداولية. (ترجمة: سعيد علوش). مركز الإنماء القومي. الرباط.

الأندلسي، أبو حيان. (1420). البحر المحيط. (تحقيق: صدقي العطار. وزهير جعيد. وعرفان حسّونة. ج 7). دار الفكر.

البغوي، الحسين بن مسعود. (1420). معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي). (تحقيق: عبد الرزاق المهدي). دار إحياء التراث العربي.

بول، جورج.. (د.ت). التداولية. (ترجمة: قصي العتابي). الدار العربية للعلوم.

البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. (1418). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي). (تحقيق: محمد عبد الرحمن

المرعشلي). دار إحياء التراث العربي.

التفتازاني، سعد الدين. (1428). المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم. (تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط2). دار الكتب العلمية.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (1423). البيان والتبيين. دار ومكتبة الهلال.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن. (1413). دلائل الإعجاز. (تحقيق: محمود شاكر ط3). مطبعة المدني.

الجرجاني، علي بن محمد. (1403). التعريفات. (تحقيق: مجموعة من المحققين). دار الكتب العلمية.

الدريدي، سامية. (2010). الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه. (ط2). عالم الكتب الحديث.

الزمخشري، جار الله. (1418). الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل. (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود. وعلي محمد معوض). مكتبة العبيكان.

الزنّاد، الأزهر. (1992). دروس في البلاغة العربية (نحو رؤية جديدة). المركز الثقافي العربي.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (2004). إستراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية). دار الكتب الجديدة المتحدة.

صادق، مثنى كاظم. (1436). أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية. دار ومكتبة عدنان.

صافي، محمود. (1416). الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيان. (ط3)، دار الرشيد. مؤسسة الإيمان.

صولة، عبد الله. (2007). الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. (ط2)، دار الفارابي

صولة، عبد الله. (2011). في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات. (ط1)، ميسلكياني للنشر والتوزيع.

عبد الرحمن، طه. (1998). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. المركز الثقافي العربي.

العسكري، أبو هلال. (1427). كتاب الصناعتين. (تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، المكتبة العصرية.

العلوي، يحيى بن حمزة. (د. ت). الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل. مطبعة المقتطف.

علوي، حافظ إسماعيل. (2010). الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. عالم الكتب الحديث.

العمري، محمد. (2005). البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول. أفريقيا الشرق.

القرطاجني، حازم. (1986). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. (تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط3)، دار الغرب الإسلامي.

القزويني، الخطيب. (1423). تلخيص مفتاح العلوم. المكتبة العصرية.

الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب. (1389 – 1969). البرهان في وجوه البيان. (تحقيق: حفني محمد شرف). مطبعة: الرسالة.

المبخوت، شكري. (د. ت). نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. *سلسلة آداب كلية الآداب*، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، منوبة.

المتوكل، أحمد، (1986). دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي. دار الثقافة للنشر والتوزيع.

مدقن، هاجر. (2005). آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الأثر، الجزائر، (5)، 190- 199.

النقاري. حمو. (2006). التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مطبعة النجاح الجديدة.

mdqn, Hājar, (2005), ālīyāt tashakkul al-khiṭāb al-Ḥajjājī bayna Naẓarīyat al-Bayān wa-naẓarīyat al-burhān, *Majallat al-athar, al-Jazā'ir*, (5), 190- 199.

Journal of Human Sciences
At Hail University

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

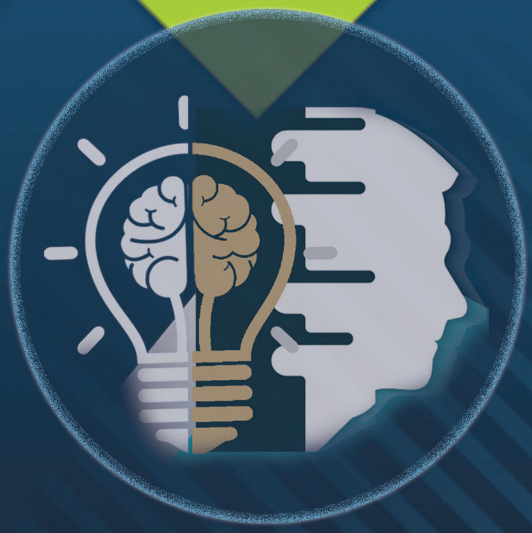

Eighth year, Issue 28
Volume 2, December 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658